الفصل الرابع

الكتابة العربية في العصر الأموي

مصطلح الخط الكوفي

هذا المصطلح الشائع إلى وقتنا هذا، والذي أطلق على الخطوط التي ترسم حروفها بأشكال هندسية في القرون الخمسة الأولى للهجرة، ثم أخذت في الانحصار ليحل محلها الخطوط المنسوبة اللينة التي تعتمد على حركة اليد الطبيعية في رسم حروفها وفي مقدمتها "خط الثلث"، وبقى معها لوحات زخرفية بالخط الكوفي. وقد أجمع كل الذين كتبوا عن الخط الكوفي على مستوى العالم تقريباً أن هذا الخط منسوب لمدينة الكوفة[1]. وكان الاعتماد في هذه الدراسات على التسمية فقط، ولم يركز أحد على تحقيق هذه التسمية، لأنه لم يرد شيء عن هذا الاسم في المصادر القديمة، بل نجد ابن النديم يذكر كتابات تنسب للمدن الإسلامية الرئيسية الأولى كالمدينة ومكة والكوفة والبصرة، ولكن لم يشر أحد إلى انتشار هذه الكتابات، ما عدا كتابات مصاحف المدينة في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه والتي نسبت إلى عثمان مباشرة وقيل "المصحف العثماني".

[1] – كان من أهم هذه الدراسات: إبراهيم جمعة: دارسة في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة، القاهرة سنة 1969م.

خريطة رقم (4) تبين الطرق التي سلكها الخط الكوفي أثناء انتشاره في أرجاء العالم الإسلامي.

تسمية الخط العربي بالكوفي:

من خلال قراءة المصادر التاريخية (1)يتضح أن المؤلفين القدامى أطلقوا على الخط العربي بصفة عامة اسم"الخط الكوفي"، وربما كان من أسباب هذه التسمية أنه

(1) للاستزادة انظر:ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي ت 808 هـ):المقدمة، دار القلم، بيروت.لبنان، ط 4، 1981م، ص ص 419-420، القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي ت 821 هـ): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب الخديوية، سلسلة الذخائر(132)، 2004م، جـ3، ص 15، 52، ابن الصائغ(عبد الرحمن يوسف ت 845هـ):تحفة أولي الألباب في صناعة الخط والكتاب، تحقيق:هلال ناجي، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، ط 2، د.ت.، ص 33، الزبيدي (مرتضى.من علماء القرن 13هـ):حكمة الإشراق إلى كتاب الآفاق، جزء من كتاب نوادر المخطوطات، تحقيق عبد السلام هارون، تقديم أ.د.حسين نصار، الجزء الثاني، سلسلة الذخائر (71)، 2001م، ص 76.

غلبت العناية بالكتابة العربية وتجويد الخط في مدينة الكوفة منذ أن اتخذها الإمام"علي بن أبي طالب" "رضي الله عنه"مركزًا للخلافة الإسلامية، ومن المعروف أن بعض المؤلفين ينسبون إلى الإمام علي"رضي الله عنه"الفضل في بداية العناية بالخط وتحسينه(1) .

وقد عرف الخط الكوفي باسم "خط الجزم" لأنه جزم:أي قطع، وبه كتبت المصاحف ونقشت الكتابات على الدراهم والدنانير في عصر صدر الإسلام وبعد ذلك، وقد دخل الخط الكوفي إلى مصر مع العرب الفاتحين، وبه كانت تكتب الرسائل بين الولاة والخلفاء إلى جانب تداوله في الأغراض الكتابية الأخرى (2).

وقد ظهر نوعان من الخط العربي هما:المبسوط وهو خط جامد يتألف في الغالب من مستقيمات تلتقي في زوايا قائمة، وهو الذي أطلق عليه اسم"الخط الكوفي"، والمقور:وهو خط لين تقل فيه المستقيمات، وتحل فيه الأقواس محل الزوايا(3).

ولما كان الخط المبسوط يتألف من مستقيمات تتقابل في زوايا؛ صار من السهل التوصل إلى تنسيقه وترتيب حروفه في وقت قصير، ولقد فطن الفنانون

(1) حسن الباشا:"تطور الخط العربي في الإسلام"، بحث ضمن موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد 3، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط 1، 1999م، ص 180 .للاستزادة راجع:إبراهيم جمعة:المرجع السابق ، ص ص 26-27. ابن خلدون:المقدمة، ص ص 419-420 .

(2) أحمد أحمد يوسف:"الخط العربي وأساليبه في خدمة الحياة العامة"، بحث ضمن كتاب حلقة بحث الخط العربي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، 1968م، ص 77.

(3) للاستزادة انظر:محمود شكر الجبوري:المدرسة البغدادية في الخط العربي، بيت الحكمة، بغداد، 2001م، جـ1، ص ص 125-126، عبد الله عبد السلام الحداد:"تطور الخط الكوفي في اليمن منذ صدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأيوبي(1-626هـ/622-1229م)، مجلة أبجديات، العدد الأول، أكتوبر 2006م، مركز الخطوط، مكتبة الإسكندرية، 2006م، ص 68 .

المسلمون إلى ما في هيئة الكتابة المبسوطة من طابع زخرفي، ومن ثم عملوا على تنمية وتطوير هذا الطابع الزخرفي؛ فأدخلوا عليه كثيرًا من الأشكال الزخرفية (نباتية-هندسية) حتى صار هذا الخط المبسوط بحق وحدة أساسية من الوحدات الزخرفية في الفن الإسلامي (1).

ولقد أدت سهولة تنسيق هذا الخط المبسوط وتجويده وزخرفته إلى أن أصبح أشبه بخط رسمي طوال القرون الخمسة الأولى للهجرة حتى كاد أن تقتصر الكتابة به وحده في تدوين المصاحف وفي الكتابات الأثرية المنقوشة على العمائر الإسلامية، كما استخدم في النقوش الزخرفية على معظم التحف التطبيقية وفي الكتابات المنقوشة على العملة وعلى الصنج، وهذا الخط المبسوط قد انفرد وحده باسم الخط الكوفي، ولا يزال يطلق عليه هذا الاسم حتى الآن (2).

وقد ذكر أن الخط الكوفي بجميع أنواعه لا يشكل (3) ولا يعجم (4) مطلقًا، حيث أن تشكيله يشوه منظره فجماله في تجرده عنهما (1) ولكن من خلال النماذج الأثرية

(1) حسن الباشا:"تطور الخط العربي في الإسلام"، ص 180 .للاستزادة انظر: أبو صالح الألفي:"الخط العربي كفن تشكيلي ووظيفته في الفنون الإسلامية الأخرى"، بحث ضمن كتابات حلقة بحث الخط العربي، ص 49.

(2) حسن الباشا:"تطور الخط العربي في الإسلام"، ص ص 180-181 .

(3) للاستزادة راجع:يوسف أحمد:الخط الكوفي"الرسالة الثانية"، مطبعة حجازي، القاهرة، ط 1، 1934م، ص ص 17-26، عبد العزيز الدالي:الخطاطة الكتابة العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1996م، ص ص 55-56 .

(4)القلقشندي: المصدر السابق، جـ3، ص 16، يوسف أحمد:المرجع السابق، ص 23، عبد العزيز الدالي:المرجع السابق:ص 60.

المختلفة والتي وصلتنا عبر العصور الإسلامية المختلفة اتضح خلاف ذلك، فقد وجدت بعض نماذج من النقوش الكتابية الكوفية معجمة إعجامًا كاملاً.

ولقد قسمت الدراسات الآثارية الخط الكوفي إلى أقسام وأنواع مختلفة: فمنها ما قسمه حسب الشكل، ومن نماذجه الكوفي البسيط والمورق والمزهر والمضفور والمربع الهندسي...إلخ، ومنها ما قسمه حسب العصور فذكر:كوفي القرن الأول الهجري وكوفي القرن الثاني...أو الكوفي الفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني، ومنهم ما قسمه حسب المكان الذي جود فيه فقال:الكوفي الأندلسي والكوفي الشامي والكوفي المصري والكوفي الموصلي، ومنهم من قسمه حسب الاستعمال فقال:الكوفي المصحفي والتذكاري والمعماري...إلخ(2) غير أننا تتفق مع تقسيم الخط الكوفي حسب التطور الزخرفي واللواحق الزخرفية التي لحقت به عبر العصور الإسلامية، فقد بدأ بسيطًا خال من الزخارف إلى أن وصل إلى مرحلة كبيرة من التطوير والتعقيد جعلت منه خطًا زخرفيًا تصعب قراءته في كثير من الأحيان لكثرة زخارفه وتداخلها مع بعضها البعض .

قلم الجليل الشامي

بدأ ظهور الكتابات العربية الفنية أو التذكارية في عهد الخليفة "عبد الملك بن مروان" (65-86هـ/685-705م) في قبة الصخرة وألواح (أميال) الطرق، ولم تكن الكوفة مصدرًا لهذه الكتابات وإنما كان مصدرها الشام موطن هذا الخط، والذي اشتهر

(1) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط:تاريخ الخط العربي وآدابه، مكتبة الهلال، القاهرة، ط1، 1939م، ص 87 .

(2) حسان صبحي مراد:تاريخ الخط العربي بين الماضي والحاضر، الدار الجماهيرية، ليبيا، 2003م، ص 350 .

أن مبتكره "قطبه المحرر" المتوفى سنة 154هـ/770م. وظهر عند ذلك ما يسمى بالخطوط الموزونة وفي مقدمتها "قلم الجليل الشامي" (أبو الأقلام) في عصر الدولة الأموية، وكتب له الانتشار في أوائل الدولة العباسية على يد "الضحاك بن عجلان" و"اسحق بن حماد" الشاميين في عهد الخلفاء العباسيين الأوائل السفاح والمنصور والمهدي، وتتلمذ عليهما الخطاطون في العصر العباسي الأول وما بعده.

فقد وجدنا أن الآثار الكتابية التي وجدت في بلاد الشام من العصر الأموي على الجدران والأحجار والتحف والنقود، لها خصائص واحدة للخط هي "الخط الهندسي"، وقد تباينت تلك الخصائص على المواد المختلفة، واختلفت ليناً ويبساً بين كتاباتها مع اختلاف أغراضها، إلا أن شخصية الحرف كانت راسخة فيها لم تتغير حتى نهاية القرن الثالث الهجري، فطوال تلك الفترة كانت شخصية "الخطوط المنسوبة" بالشعرة (شعرة البرذون) دقة ومقياس الذهب عدداً (24 شعرة)، ممثلاً في ذلك خط الطومار، وهو الذي أطلق عليه "قلم الجليل الشامي"، الذي ابتكره "قطبه المحرر".

وقد ذكر في مصادر القرون الثلاثة الأولى للهجرة اسم خط واحد فقط هو "القلم المحرف الكوفي" في معرض الحديث عن أقلام الكتابة وليس الأقلام بمعنى الخطوط، حيث ذكر الشيباني في كتابه الرسالة العذراء: "كما أن كتب الملوك والسجلات لا تحسن إلا بالقلم المحرف الكوفي"، وهذه المقولة لا تغير من حقيقة الشكل العام للحرف وخصائصه وإنما تكسبه نوعاً من الرشاقة في الخطوط العمودية. ويتعارض هذا القول مع ما ذكره البطليوسي من أن "لأهل الحيرة خط الجزم وهو خط المصاحف، فتعلمه منهم أهل الكوفة"، لأن المعروف أن خط الجزم بقلم مبسوط –أي سناه مستويان– أو بمعنى أخر غير محرف، وهو عكس قطة القلم المحرف الكوفي، فإذا عدنا إلى خصائص الحرف فإنها لا تختلف أساساً ولا بد من تنوع الأساليب متأثرة

بالأشخاص (الكَتاب) ومواد الكتابة، ولا يفيدنا هذا النقاش في شيء بالنسبة لمصطلح إطلاق التسمية على عموم الأشكال الخطية السائدة في تلك الفترة.

كان أول ظهور لاسم "الخط الكوفي" كمصطلح لمجموعة خطوط في القرن الرابع الهجري عند أبو حيان التوحيدي (ت سنة 414هـ/1023م) في رسالته في علم الكتابة، فانفرد بهذا المصطلح وذكر أنواعاً من الخطوط لم ترد في مصادر معاصريه كابن النديم (ت سنة 385هـ/995م) وابن البواب (ت سنة 413هـ/ 1022م)، لكننا نجد العكس عند ابن مقلة –وهو سابق للتوحيدي– الذي يعتبر التوحيدي أن هذه الخطوط اتصلت به، فقد ذكر جميع أنواع الخطوط القديمة وما تبقى منها في زمانه ولم يذكر اسماً واحداً مما ذكره التوحيدي إلا "الشامي"، بل ويضيف أن "أكثر أهل هذا الزمان لا يعرفون هذه الأقلام ولا يدرون ترتيبها، وليس بأيديهم منها إلا قلم المؤامرات (الذي يكتب به مراسلات الأمراء) وصغير الثلث وقلم الرقاع".

والأرجح أن اسم الخط الكوفي قد انتشر في القرن الخامس الهجري أو بعده بقليل، اعتماداً على كتاب "رسالة في الكتابة المنسوبة" لمؤلف مجهول، فقد ذكر أنواع الخطوط وعن حديثه عن ابن البواب قال: "وكتب بالكوفي فأنسى القرن السالف"، فلماذا الكوفي بالذات؟ وما هي العوامل التي ساعدت على هذا الاختيار؟

فإذا تتبعنا علاقة الكوفة بالخط وما جاء عنها في المصادر المختلفة، يظهر لنا عدة عوامل ساعدت على ذلك، لعل أبرزها ما جاء عند البغدادي (كتاب الكتاب) ورده من بعده في أن "أهل الحيرة خطوا الجزم وهو خط المصاحف وتعلمه منهم أهل الكوفة". فمن المعروف أن خط المصاحف أصله الخط المكي والمدني الذي وصفه ابن النديم وينطبق على خطوط المصاحف التي وصلتنا من تلك الفترة.

كما ذكر البغدادي أيضاً أن "خط أهل الشام الجليل يكتبون به المصاحف"، ونستدل من ذلك أن هذا القول لا يخرج عما ذكرناه من أن خط الجليل هو الخط

الأساسي وشخصيته أو خصائصه واضحة في كل الأساليب التي وصلتنا من ذلك العصر. ولكن التقادم واندثار المعلومات دعا للأخذ بهذه التسمية الجديدة، وساعد على ذلك وجود الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الكوفة، وانطلاق حركة احتراف نسخ المصاحف من الكوفة أيضاً على يد "حكيمة العبدي" و"مالك بن دينار". وظهور طبقة من الخطاطين الكوفيين الذين كتبوا عن الخط والقلم في النصف الأول من القرن الثالث الهجري، مثل "أبي طالب الكوفي" و"محمد بن هبيرة الأسدي الكوفي". أضف إلى ذلك مركز الكوفة الثقافي بعامة واللغوي بخاصة، وأخذها مكانة الحيرة التي لا تبعد عنها سوى بضعة كيلومترات كمركز حضاري أخذته الحيرة قبل الإسلام ومنها انطلقت الكتابة العربية وآلت إليه الكوفة بعد الإسلام، وفيها نشطت العلوم والفنون بما فيها الكتابة.

وقد قسم أحد الباحثين (1) مراحل تطور الخط العربي عبر العصور الإسلامية إلى خمس مراحل، وهي:

-المرحلة الأولى (التطور الابتدائي):كان الخط في أول مراحله غير منقوط ولا مشكول (2)، وخالياً من علامات الإعراب والضوابط، وقد سبب هذا النقص عسراً في

([1]) للاستزادة انظر:حبيب الله فضائلي، أطلس الخط والخطوط ،ترجمة د.محمد التونجي، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1993م، ص ص 10-13 .

([2]) السريان هم من أول من وضع الشكل في الكلمات، وذلك عندما دخلوا في النصرانية ونقلوا الكتب المقدسة إلى لغتهم، ورأوا أن بعض الناس يلحنون في قراءتها؛ فخافوا أن ينشأ عن ذلك تحريف في اللفظ يغير المعنى، ويؤدي إلى الكفر والزندقة، فاخترع الأسقف يعقوب الرهاوي الملقب بمفسر الكتب المتوفى سنة 460م نقطاً كانت ترسم مصاحبة لبعض الحروف، ثم تحولت إلى نقط مزدوجة تنوب عن الحركات الثلاث، وقد كانت عندهم أيضاً نقط كبيرة توضع فوق الحرف أو تحته لتعيين لفظه، أو تعيين الكلمة الواقع هو فيها، إن كانت اسماً أو فعلاً أو حرفاً.يوسف أحمد، الخط الكوفي، ص 17 .

القراءة، وتصحيفاً لبعض الكلمات، بسبب دخول أجناس غير عربية في الإسلام(1)، ولا شك أن أبا الأسود الدؤلي (ت 69هـ/688م) من أول من برع في هذا الميدان، حيث وضع نقاطاً للحروف كانت بمثابة الحركات، بلون مغاير ومخالف للون حبر الكتابة نفسها، وكان أبو الأسود هذا تلميذاً للإمام علي"رضي الله عنه"وقام بهذا العمل بهدى منه وبتوجيهه(2)، إلا أن تنقيط الحروف لم يتم إلا في أواخر عصر بني أمية، وبالتحديد في عهد عبد الملك بن مروان، على يد نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني (3)، فوضعا نقاطاً للحروف لتمييزها بنفس لون مداد الكتابة، أما

(1) محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الخطاط، المرجع السابق، ص 87.

(2) وضع أبو الأسود الشكل(يراد بالشكل ضبط الكلمة بالحركات لتؤدي المعنى المقصود منها وفقاً للغة العرب الصحيحة)في زمن معاوية بطلب من زياد أمير العراق، وكان ذلك بعد أن وضع النحو بإرشاد أمير المؤمنين"علي بن أبي طالب"كرم الله وجهه، والسبب في ذلك:أنه لما انتشر الإسلام واختلط العرب بالعجم وتناسلوا؛ بدأ اللحن يظهر في ألفاظهم، فخشى العرب أن تفسد ألسنة زراريهم ويؤول ذلك إلى ضياع لغتهم، وخافوا أن يتطرق الخطأ إلى القرآن، وهو عماد الدين وأساس الإسلام، فأخذوا يفكرون في تدارك هذا الأمر لوقاية هذا اللسان قبل أن يصعب إصلاحه.

وقد بدأ أبو الأسود بشكل المصحف، وقال لكاتبه:خذ المصحف، وخذ صبغاً يخالف لون المداد، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط نقطة واحدة فوقه، وإذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله، وإذا ضممتهما فاجعل النقطة بين يدي الحرف، فإن تبعت شيئاً من هذه الحركات غنة فانقط نقطتين، وأخذ يقرأ بالتأني والكاتب يضع النقط، وكلما أتم صفحة راجعها أبو الأسود، حتى أعرب المصحف كله.ومن هذا يتبين أن أبا الأسود هو أول من وضع الشكل في الخط الكوفي، وقد وضع الفتحة والكسرة والضمة والتنوين، وضعها بهيئة نقط بلون يخالف لون المداد الأصلي للكتابة.للاستزادة انظر:يوسف أحمد، الخط الكوفي، ص ص 17-21، عبد العزيز الدالي، المرجع السابق، ص ص 55-56.

(3) كان الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق لعبد الملك بن مروان، فلما سمع كثرة التصحيف في القرآن بسبب تشابه الحروف؛ فزع إلى كتابه وطلب منهم أن يضعوا على الحروف المتشابهة علامات

الحركات والضوابط الأخرى(علامات الشكل)فهي من ابتكار الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 170هـ/ 786م) (1) .

تميزها، ولما كان المسلمون يكرهون أن يزيد أحد شيئاً على ما في مصحف عثمان أراد الحجاج أن يستعين على هذا الإصلاح برجال اشتهروا بالتقوى حتى لا يعارضه أحد فيما أراد، فدعا نصر بن عاصم الليثي ويحيى بن يعمر العدواني، وكانا على جانب عظيم من التقوى والصلاح والتفقه بالدين، كما أنهما كانا من تلاميذ أبي الأسود الدؤلي واضع الشكل في القرآن، وأطلعهما على مراده وأفهمهما ما يؤول إليه أمر القرآن من التصحيف والتحريف، إذا لم يقرا إدخال هذا الإصلاح، وبعد البحث والتروي رضيا بالإعجام(المراد بالإعجام تمييز الحروف المتشابهة بوضع علامة عليها بمنع اللبس)، وهو أن توضع نقط مفردة على بعض الحروف المتشابهة أو مزدوجة، ويهمل بعضها من النقط، وأن يكون الإعجام بالمداد الذي تكتب به المصاحف، تمييزاً له عن الشكل الذي هو نقط بالمداد الأحمر أو بمداد مخالف للون مداد الكتابة.القلقشندي، صبح الأعشى، جـ3، ص 16، يوسف أحمد، المرجع السابق، ص ص 23-26، عبد العزيز الدالي، المرجع السابق، ص ص 60-62 .

([1]) تقدمت فنون الكتابة تقدماً عظيماً فأحب الناس أن يجعلوا الشكل من نفس لون مداد الكتابة تسهيلاً للأمر، ولأنه لا يتيسر لكل كاتب وفي كل جهة لونان من المداد، فوقف في سبيلهم تشابه الشكل بالإعجام، لأن كلاً منهما يحدث بالنقط، فاضطروا إلى إيجاد إصلاح في أحدهما، فانبرى لذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكان من أوسع الناس علماً بالعربية، ورأى أن يصلح طريقة الشكل، وأن يبقي الإعجام بالنقط لسهولته، ولفته إلى ذلك ما أحدثه بعض أتباع نصر ابن عاصم من جعل الإعجام بغير النقط، فوضع ثماني علامات للشكل هي:الفتحة(ألف صغيرة مضطجعة فوق الحرف)والضمة(واو صغيرة فوقه)والكسرة(ياء صغيرة تحته)والسكون(وضع للسكون الشديد وهو ما يصاحب الإدغام رأس شين بغير نقط "س"،وللسكون الخفيف وهو ما لا إدغام معه، رأس خاء بلا نقط"ح") والمدة(ميم صغيرة مع جزء من الدال"مد")والصلة(لألف الوصل رأس صاد"ص"توضع فوق ألف الوصل) والهمزة(رأس عين "ع"لقرب الهمزة من العين في المخرج)والشدة؛ فاتبعها الناس وأهملوا الشكل بالنقط.يوسف أحمد، المرجع السابق، ص 26، عبد العزيز الدالي، المرجع السابق، ص 62 .

-المرحلة الثانية:وتتقسم هذه المرحلة من أواخر عصر بني أمية وأوائل العصر العباسي إلى أيام المأمون إلى مرحلتين متميزتين، هما:

1-مرحلة ما قبل المأمون، وتعتبر مرحلة التحول واختراع الأقلام .

2-مرحلة عهد المأمون، وكانت مرحلة إيجاد الأقلام وجمعها، كما كانت مرحلة تهذيب الأقلام وتحديد أنواعها .

وقد ظهرت في هذه المرحلة عدة أنواع من الخطوط والأقلام على أيدي كل من قطبة-الضحاك بن عجلان-إسحاق بن حماد-إبراهيم الشجري-يوسف الشجري00وعدد آخر من أهل العراق عرفوا بالوراقين، ومن أشهر هذه الأقلام:الجليل-السجلات-الديباج-الطومار الكبير-الثلثان الصغير والثقيل-الزنبور-المؤامرات-الحرم-العهود-القصص-الأجوبة-النصف الثقيل-الثلث الكبير .

كما ظهر بعد هذه الأقلام اثنا عشر قلماً أخرى هي:السميعي-الأشرية-الخرفاج الثقيل-الخرفاج الخفيف-المفتح-مفتح النصف-خفيف النصف-المدور الكبير(الرياسي)-المدور الصغير-النرجسي-خفيف الثلث الكبير-الرقاع، وظهر قلم آخر هو المحقق أو الوراقي، وكانت هذه الأقلام تسمى الموزونة أو الأصلية، ومنذ ذلك الوقت (198-218هـ)/(813-833م)وضحت أشكال من الخطوط ذات طابع دقيق(خفيف)، أو غليظ(ثقيل)، ووضحت كيفية كتابتها واستعمالاتها المتنوعة، كما ظهرت أقلام أخرى عن طريق الكتاب في ديوان المأمون، ولا سيما الأحول المحرر الذي ساناده ذو الرياستين"الفضل بن سهل"، وهذه الخطوط والأقلام هي:الأمانات-المدمج-المرصع-النساخ-المنثور-الوشي-المكاتبات-غبار الحلبة-البياض-المسلسل-الحوائجي، ولقد أدى هذا التطور إلى إيجاد ستة وثلاثين قلماً، واستقر وضع الخطوط والخطاطين على هذا الأساس، إلى أن انتهت جودة الخط إلى ابن مقلة.

-المرحلة الثالثة:وقد تم تطور هذه المرحلة بمساعي ابن مقلة الوزير، وأخيه، وكان عمل ابني مقلة الرئيسي هو إنهاء الاضطراب في وضع الأقلام والخطوط، وانتخاب أربعة عشر نوعاً والعمل على تهذيبها، ووضع الأسس والقواعد المنظمة لها على أساس البسط والتدوير، وهندسة أبعاد الحروف، والمقارنة بينها، وإيصال خط البديع(النسخ)إلى مرتبة الكمال والحسن، وتهذيب الخط المحقق والتوقيعات والرقاع، وتحديد اثنتى عشرة قاعدة للخط هي:التركيب-الكرسي-النسبة-الضعف-القوة-السطح-الدور-الصعود المجازي-النزول أو الهبوط المجازي-الأصول-الصفاء-الشأن.

-المرحلة الرابعة:وتمت على يد أبي الحسن علي بن هلال المشهور بابن البواب، ويعتبر أبرز ما قام به هو تطوير مجموعة الأقلام التي انتخبها ابن مقلة، ونظمها على أساس قاعدته الهندسية، واستخدم القواعد التي حددها ابن مقلة، ونظمها على طريقة جديدة هو مبتكرها، وقاس الحروف والكلمات كلها بميزان النقاط، وعمل على نشر منهجه الخطي، ومن ثم تكونت مدرسة خطية اتبعت طريقته، كما اكتشف قلم الريحاني، وقد استمر منهجه الخطي وشاعت أقلامه حتى أواخر عصر المماليك في مصر .

-المرحلة الخامسة:كانت هذه المرحلة هي مرحلة تعديل الخطوط، وتثبيت الأقلام الستة وذلك بفضل جهود ياقوت المستعصمي، وخلاصة ما قام به:إعادة تنظيم الخطوط التي ابتكرها ابن مقلة وابن البواب على أساس القياس الهندسي والقياس بالنقطة بدقة أكثر، كما انتخب ستة أقلام هي الثلث-النسخ-الريحان-المحقق-الرقاع-التوقيع، وسعى إلى تحسينها وتجميلها، وقد ظل منهجه متبعاً، غير أن رونقه لم يكتمل إلا في القرنين (9-10هـ)/(15-16م) .

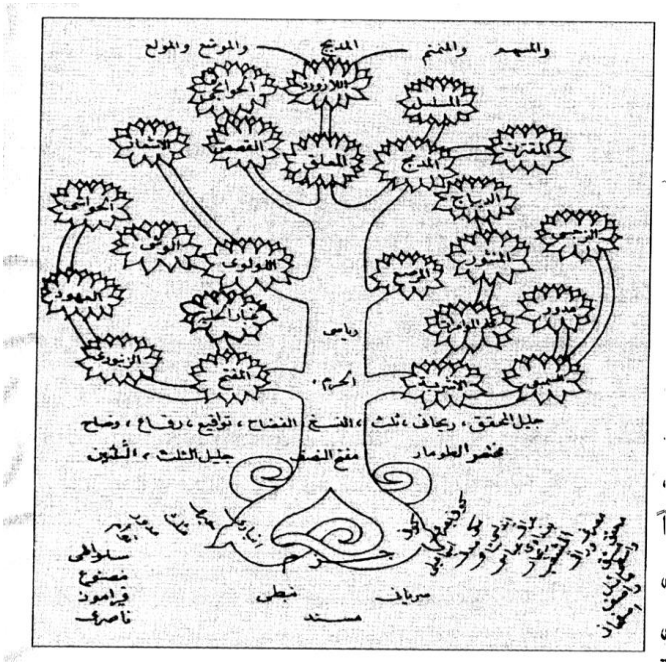

شكل رقم (24) شجرة أسماء الخطوط العربية منذ فجر الإسلام حتى نهاية العصر العباسي.

نماذج النقوش العربية في القرن الأول الهجري

ذكرنا فيما سبق نقش القاهرة المؤرخ بسنة 31هـ/651م، وسنعرض هنا بعض الكتابات والنقوش التي وصلت إلينا من العصر الأموي.

1 – نقش الطائف

عُثر على هذا النقش أثناء التنقيب عن المعادن بالقرب من منطقة الطائف في الحجاز سنة 1945م، ونشره مايلز سنة 1948م، وهو عبارة عن نقش على صخرة من بقايا سد قديم أمر بإنشائه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان سنة 58هـ/ 677–678م، ونصه :

1) هذا السد لعبد الله معوية
2) أمير المؤمنين بنيه عبد الله بن صخر
3) بإذن الله لسنة ثمن وخمسين ا
4) للهم أغفر لعبد الله معوية أ
5) مير المؤمنين وثبته وأنصره ومتع ا
6) لمؤمنين به كتب عمرو بن حباب

وقد ظن مايلز عند نشره لهذا النقش أن كلمة قد محيت في أول السطر السادس، ورجح أنها [أمير] فتكون القراءة (ومتع [أمير] المؤمنين به). ولم يأخذ من درس هذا النقش بعده بترجيحه لكمال النص وعدم حاجته لأي ترجيح، لأن الضمير في (به) في السطر السادس يرجع إلى أمير المؤمنين وليس إلى السد، فقد أراد الكاتب "ومتع المؤمنين بأمير المؤمنين" أي بطول بقائه، ويتميز هذا النقش عما سبقه من نقوش بأن عدداً من حروفه تبدو منقطة، وهى (الباء والتاء والياء والثاء والنون والفاء والخاء).

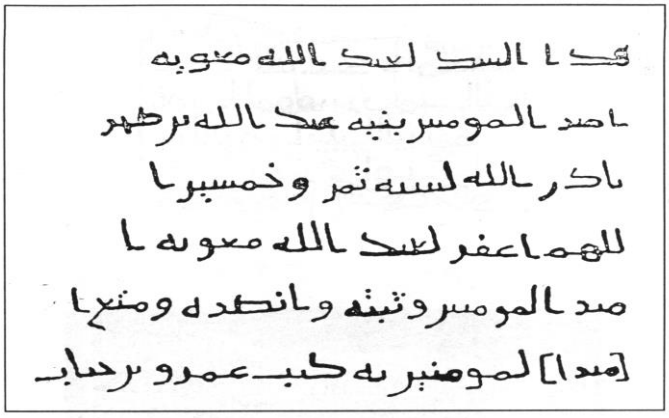

شكل رقم (25) تفريغ لنقش سد الطائف الذي بناه الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان سنة 58 هـ/677-678م.

2 – نقش جفنة الأبيض

عثر عليه السيد عز الدين الصندوق سنة 1949م على صخرة في وادي الأبيض بمنطقة جفنة الأبيض غربي كربلاء، في بعثة دائرة الآثار العراقية، وهو عبارة عن تذكار كتبه ثابت بن يزيد الأشعري في شوال سنة 64هـ/684م، ونصه :

1) بسم الله الرحمن الرحيم
2) الله وكبر كبيرا وا
3) لحمد لله كثيرا وسبحن ا
4) لله بكرة وأصيلا وليلا
5) طويلا . اللهم رب
6) جبريل وميكل واسر
7) فيل أغفر لثبت بن يزيد
8) الأشعري ما تقدم من
9) ذنبه وما تأخر ولمن قال
10) أمين أمين رب العلمين
11) وكتبت هذا الكتب في
12) شوال من سنة أربع و
13) ستين

يحمل هذا النقش خصائص النقوش السابقة، مع وجود بعض الظواهر الإملائية التي انفرد بها، مثل وجود ثلاثة حروف معجمه هى (الباء والياء والثاء في السطرين الثاني والثالث.

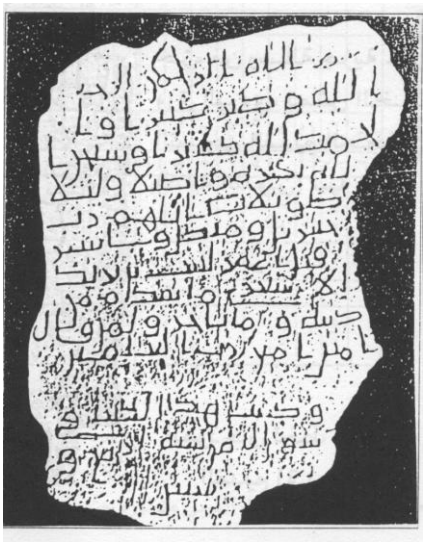

لوحة رقم (16) شاهد قبر وجد في جفنة الأبيض مؤرخ سنة 64هـ/684م.

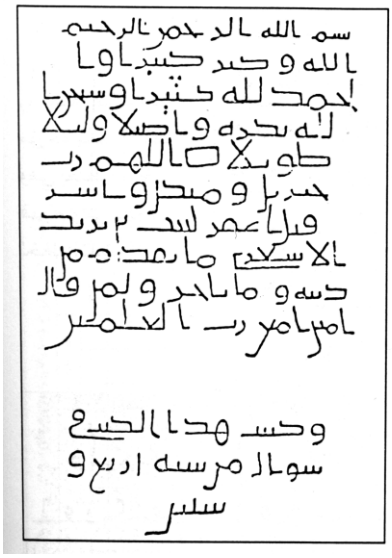

شكل رقم (26) تفريغ لنقوش شاهد قبر وجد في جفنة الأبيض مؤرخ سنة 64هـ/684م.

3 – علامات (أميال) الطرق

عثر من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86هـ/685–705م) على أربعة ألواح من علامات الطرق Milestones في مناطق خان الحظرورة وباب الود ودير القلت، نتجت عن اهتمام هذا الخليفة بتمهيد الطرق ببلاد الشام وفلسطين وتسهيل المرور بينها وبين عاصمة الخلافة، وأرجعهم الباحثون إلى سنة 68هـ/ 687–688م، ونص الأول:

1) و سمـ..
2) هذا الطريق و
3) صنعة الأميال عبد
4) الله عبد الملك أ
5) مير المؤمنين رحم[ت] الله
6) عليه من دمشق إلى هذا
7) الميل تسعة وماية ميل

أما اللوح أو العلامة الثانية فنصها:

1) الطريق ...
2) عبد الله عبد الملك
3) أمير المؤمنين رحمت الله
4) عليه من ايليا إلى هذا
5) الميل ثمنية أميال

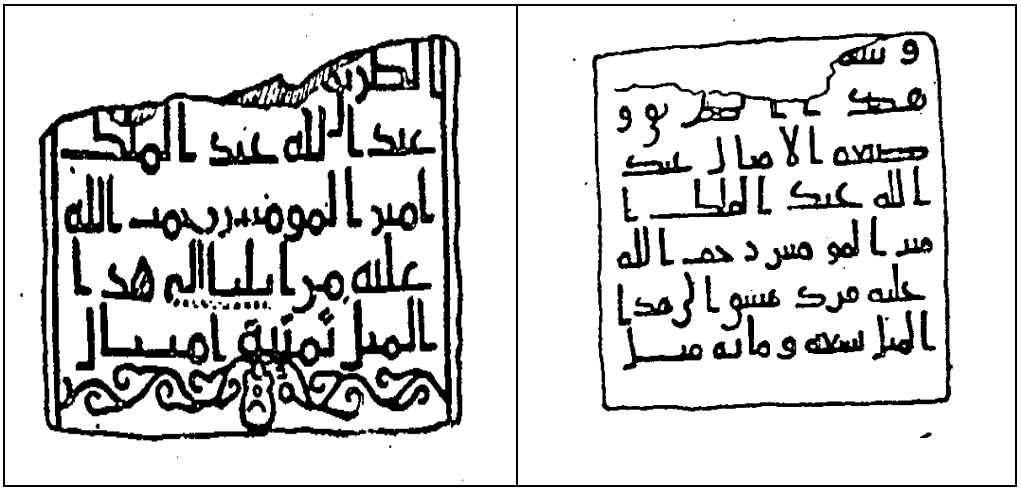

شكل رقم (26) تفريغ لعلامات الطريق من عصر عبد الملك بن مروان الأموي 68 هـ/687م.

وقد عثر على لوحة أخرى من حجر البازلت سنة 1961م تسجل كيفية أن يحيى بن الحكم حاكم فلسطين عم الخليفة عبد الملك قام على رأس حملة لتسوية عقبات الطرق بالقرب من قرية فيق Fig على الطريق بين دمشق والقدس في المحرم سنة 73هـ/مايو – يونيو 692م، ويبدو فيها أن الفنان قد نسى مساحة اللوحة الحجرية، فنجد المسافات بين السطور الأولى أكبر من المسافات بين السطور الأخيرة، حيث تدارك الفنان حجم النص المطلوب كتابته،[1]، ونصها:

1 – بسم اللـ[ه] ... [الرحمان]

2 – الرحيم لا اله ا[لا ا]

3 – لله وحده لا شريك

[1] – Jonathan Bloom and Sheila Blair, Islamic Arts, Phaidon Press Limited, London N1 9PA, 1997, pp. 65-66.

4 – له محمد رسول الله أمر

5 – [بـ]تسهيل هذه العقبة عبد

6 – الله عبد الملك أمير المو

7 – [مـ]نين وعملت على يدي يحيى بن ا

8 – لحكم في المحرم من سنة ثلث

9 – [وسبعين]

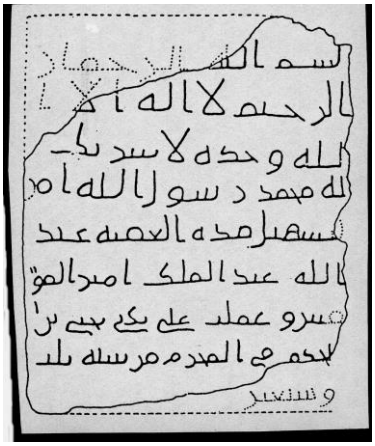

شكل رقم (27) لوحة من حجر البازلت تسجل كيفية تسوية عقبات الطرق.

4 – كتابات قبة الصخرة

تعتبر هذه الكتابات أقدم كتابة تاريخية وجدت في إحدى العمائر الإسلامية القائمة حتى الآن، وترجع إلى سنة 72هـ/691م، ويوجد الشريط الكتابي داخل القبة بأعلى الشبابيك بطول 240 مترًا، ويلاحظ أن جزءًا من هذه النقوش تشير إلى الإصلاحات التي أجراها الخليفة العباسي المأمون بن هارون الرشيد في أواخر القرن الثاني الهجري، ويلاحظ أن الخط الذي كتبت به خط المسافات بين حروفه أضيق من الموجودة بين باقي الحروف الموجودة بطول الشريط الكتابي كما أنها بعيدة في الشكل عن باقي الكتابات الأخرى بمعنى أن نقوش المأمون مغايرة تمامًا في الشكل لحروف

النقش الأصلي، حيث غير الخليفة المأمون اسم عبد الملك بن مروان ونقش اسمه بدلاً عنه دون أن يغير تاريخ سنة 72ه الذي هو تاريخ القبة الأساسي[1]، ونص الكتابات :

1) ... له ولد له ما في السموات وما في الأرض
2) بنى هذه القبة عبد الله عب
3) د الله الإمام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين تقبل الله منه

لوحة رقم (17) النقوش الكتابية الكوفية الموجودة بقبة الصخرة.

[1] – كمال الدين سامح، العمارة في صدر الإسلام، القاهرة سنة 1971م، ص24-25 ؛ يحي مصطفى عبد المجيد، قبة الصخرة، مجلة الدارة، السنة السابعة، العدد الأول، شوال 1401ه/ أغسطس 1981م، ص 150.

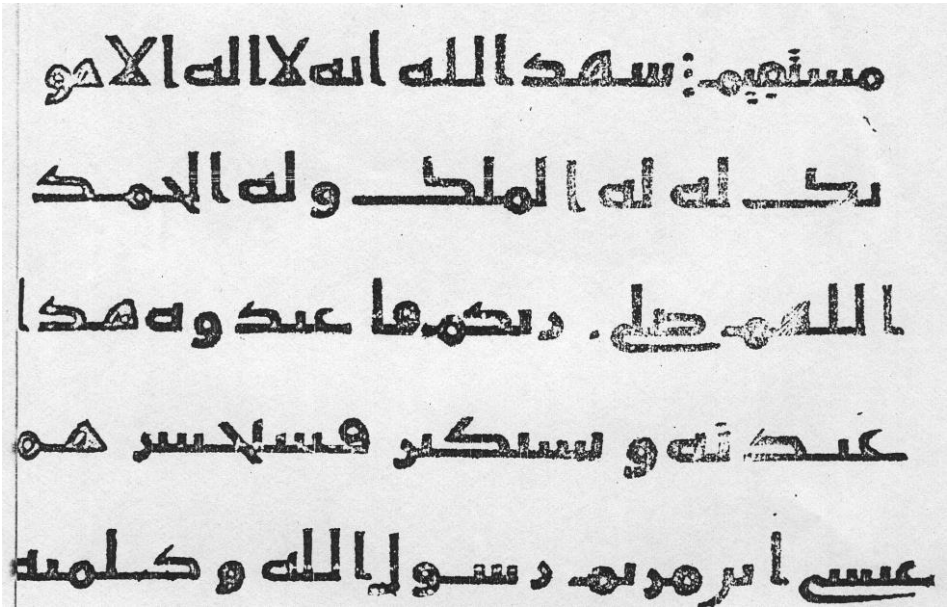

شكل رقم (28) تفريغ للنقوش الكتابية الكوفية الموجودة بقبة الصخرة.

5 – شاهد قبر سنة 71هـ/ 690م

وقد لحق بالخط العربي في مصر نوع من التطور يظهر في شاهد قبر يرجع إلى سنة 71هـ/690م، ويصور لنا ما حدث من نهضة فنية ومعمارية في عصر الخليفة عبد الملك بن مروان شملت كافة أنحاء العالم الإسلامي، فبمقارنته بكتابات قبة الصخرة نجد أن:

1 – ليس في ألفاته تعويج إلى يمنة اليد كما هو الحال في شاهد قبر سنة 31هـ.

2 – حرف الدال في (تشهد، وإحدى، وسيد، ووحده) يشبه الدال المثلثة، وقد وردت هذه الدال في شاهد سنة 31هـ، وهذه الدال ليست مألوفة في نقوش القرن الثاني الهجري إلا في القليل النادر كما سنرى، وقد تخلصت منها الخطوط التذكارية تدريجياً.

3 – حرف العين في وسط أو آخر الكلمات مفتوح القمة، كحرف العين في شاهد سنة 31هـ.

4 – حرف الهاء يشبه حرف الهاء في نقوش قبة الصخرة سنة 72هـ على اللوحة النحاسية، وقد اختلف تماماً في أواخر القرن الثاني الهجري.

5 – حرف اللام يشبه ما في اللوحة النحاسية وكتابات الفسيفساء بقبة الصخرة.

لوحة رقم (18) شاهد قبر مؤرخ سنة 71هـ أصله من أسوان ومحفوظ حاليًا بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة.

خصائص الكتابات في العصر الأموي

1 – المحافظة على الخط البسيط حتى أواخر العصر الأموي.

2 – ظهور التدوير في بعض حروف النقوش الحجرية في أواخر العصر الأموي.

3 – وجود النقط في كتابات ونقوش منطقة الحجاز، وعدم وجود الإعجام في كتابات بلاد الشام، عدا بعض الاستثناءات.

4 – ظهور بعض نقط الإعجام في الكتابات الحجرية قرب الكوفة.

5 – ظهور الخط الموزون المتناسب الذي تبدو فيه الدقة والصنعة.

6 – كان لبعض الحروف التي وصلتنا على النقوش الحجرية عدة أشكال، كحروف الألف والميم والهاء والياء الأخيرة.

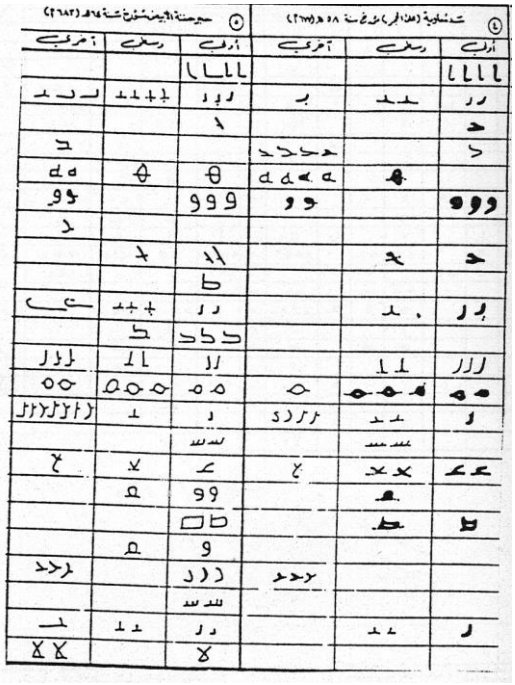

شكل رقم (29) أشكال الحروف الكتابية في العصر الأموي.